علي الحمامي بين القومية المغاربية والجامعة الإسلامية
من خلال "إدريس: رواية شمال إفريقيا"

منير صغيري

أستاذ تاريخ المغرب العربي الحديث
المعهد الإسلامي
ولاية باتنة – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

تتناول هذه الدراسة أحد أعلام الجزائر الذين أسدل عليهم ستار النسيان والتهميش، فمن غير اللائق أن نرى الساحة التأليفية في ميدان الدراسات التاريخية الأكاديمية المغاربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة خالية من التعرض لشخصية ذات ثقل نضالي وفكري، على الساحة الوطنية والمغاربية إنه علي الحمامي الجزائري (١٩٠٢ – ١٩٤٩). بحيث حاولنا قدر الإمكان وبالاعتماد على المصادر والمراجع المتاحة تتبع سيرة النضالية لعلي الحمامي منذ نشأته وإلى غاية وفاته، وحاولنا تسليط الضوء على نظرة الحمامي للقومية المغاربية والجامعة الإسلامية في مفهومها التاريخي الحضاري ومفهومها الحديث المعاصر من خلال روايته التي كتبها بالفرنسية عندما كان مقيمًا في بغداد والموسومة بـ "إدريس، رواية شمال إفريقيا".

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٤ مايو ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ٢٠ يوليو ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:

التاريخ المغاربي، القصص التاريخية، القومية المغاربية، الجامعة الإسلامية، الاستعمار الأوربي

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

منير صغيري. "علي الحمامي بين القومية المغاربية والجامعة الإسلامية من خلال إدريس: رواية شمال إفريقيا".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٢٣ – ٣٣.

مُقَدِّمَةُ

يُعَدّ تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر مجالاً خصبًا لمختلف الدراسات التاريخية لاسيما ما تعلق منها بالشخصيات المغمورة والتي لها سيرة محمودة في النضال المغاربي من خلال نشاطاتها الحثيثة ضد الهيمنة الاستعمارية في منطقة المغرب العربي الذي ما فتئ أن وقع بين مخالب الاستعمار الأوربي، فقد حدث وانقلبت موازين القوى لصالح الدول الأوربية نتيجة ظروف معينة، والتي بقيت ردحًا طويلاً من الزمن لصالح العالم الإسلامي بما فيه الجزء الغربي منه،[١] لذلك وقع على كاهل الباحثين في مجال التاريخ المغاربي والذين يتمتعون بروح المسؤولية تسليط الضوء على مجهود وجهود الشخصيات النضالية ونشاطاتها ومواقفها من قضايا عصرها، وإن حديثنا عن الشخصيات المغمورة المنسية ذات الثقل النضالي والتي لم تحضا بالدراسة والتحليل، يسوقنا للحديث عن شخصية مغاربية فذة كان لها باع طويل في الدفاع عن شعب اغتصبت أرضه وسلبت حريته، إنه علي الحمامي (بعد سلسلة من الاطلاع والبحث لم أجد دراسة أكاديمية حول هذا الرجل) مناضل من الشتات الجزائري في المهجر.

فقد تنقل علي الحمامي بين العديد من الدول العربية والأوربية، وبذل جهودًا معتبرة في مناهضة الاستعمار الأوربي لبلدان المغرب العربي، وكان له على غرار رواد النهضة والإصلاح في المشرق وجهة نظر متميزة حول قضايا المغرب العربي المحتل، من حيث الجذور والهوية وأساليب النضال في إطار العمل الوحدوي والنضال المشترك، وبطبيعة الحال فقد كان لعلي الحمامي موقف من أساليب الإصلاح لرواده المشارقة، خصوصًا مع ظهور فكرة الجامعة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر كتيار فكري إصلاحي يهدف إلى لم شمل الأمة بالاعتماد على عنصر الإسلام، وسنحاول في مقالنا هذا تسليط الضوء على السيرة النضالية لعلي الحمامي ونظرته للمغرب العربي الإسلامي والجامعة الإسلامية أو الوحدة الإسلامية منذ نشأتها زمن النبي (ﷺ) من خلال روايته "إدريس"

والتي صاغها في قالب أدبي روائي ولكن هي تعبر عن هوية أمة مغاربية.

أولاً: علي الحمامي: (السيرة الذاتية)

ولد علي الحمامي سنة ١٩٠٢ في مدينة تيارت في منطقة جبلية تسمى عين الحمام[٢] في منطقة الغرب الجزائري، وقد كتب عنه محمد علال الفاسي "عرفت من أحاديثه أنه ولد في الجزائر من أب ريفي من جبل الحمام وأم سوسية، ثم هاجر مع والده إلى المشرق وهو صغير حيث أقام في الإسكندرية وتعلم في مدارس الافرنسيس".[٣] لقد نشأ على الحمامي وترعرع في أرض الجزائر أصله ومسقط رأسه، وعندما بلغ العشرين من عمره[٤] ارتحل مع عائلته إلى المشرق لأداء مناسك الحج، وعلى أثر ذلك استقر رفقة عائلته في الإسكندرية في مصر ولم يعد إلى الجزائر.[٥] وعند اندلاع ثورة الريف بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي انضم إليه وشاركه مغارم الجهاد، وبعد هزيمة الخطابي انتقل إلى باريس سنة ١٩٢٦،[٦] بحيث التقى مع رواد الإصلاح والنهضة في المشرق والمغرب أمثال شكيب أرسلان الذي كان على علاقة وطيدة به، بحيث ورد اسم علي الحمامي في مراسلات شكيب أرسلان للمغاربة،[٧] وكان يتدخل لصالحه في المشرق وأوربا، لأنه كما قال عنه، رجل بائس فقير رغم إمكاناته الفكرية وتقلباته السياسية، حيث تعاون معه في جنيف وهو الذي أوجد له عملاً في البلاد العربية.[٨]

وخلال مكوثه في فرنسا تعرف كذلك على الأمير خالد الجزائري،[٩] الذي أرسله رفقة مجموعة "الشبان الجزائريين" في مهمة إلى الاتحاد السوفيتي الفتي،[١٠] وهناك التقى زعماء حركات التحرر في العالم مثل "نغوين أي كوك"، و"هوشي منه"،[١١] وبقي هناك خلال الفترة الواقعة بين (١٩٢٨) و(١٩٣٠). ثم انتقل إلى سويسرا وألمانيا بين (١٩٣٠) و(١٩٣٢) والمملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٣. ثم ارتحل إلى بغداد ومكث هناك من (١٩٣٣) إلى غاية (١٩٤٧) حيث عينه الأمير فيصل مدرسًا للتاريخ والجغرافيا.[١٢]

وغداة الحرب العالمية الثانية عرفت الحركات الوطنية في المغرب العربي انطلاقة جديدة، حيث تأسس مكتب تحرير المغرب العربي في القاهرة، برئاسة محمد بن عبد الكريم الخطابي، ونتيجة لذلك قرر علي الحمامي الالتحاق بالقاهرة لمواصلة المسيرة النضالية رفقة الخطابي وكوكبة من أقطاب النضال المغاربي، غير أن عمله النضالي الذي يجسد العمل السياسي المغاربي المشترك لم يدم طويلاً، فلم يلبث أن وافته المنية رفقة التونسي الحبيب ثامر والمغربي أحمد بن عبود وآخرين، في ١٢ ديسمبر ١٩٤٩ على إثر تحطم الطائرة[١٣] التي كانت تقلهم بسماء باكستان، لتمثيل المغرب العربي في أول مؤتمر إسلامي اقتصادي[١٤] أنعقد في بلد آسيوي مسلم مستقل حديثًا.[١٥]

نقل جثمان علي الحمامي إلى الجزائر،[١٦] ودفن في مقبرة سيدي محمد في الجزائر العاصمة، وقد شيّعت جنازته جماهير غفيرة يتقدمها الإمام محمد البشير الإبراهيمي، والشيوخ العربي التبسي، والعباس بن الحسين، وأحمد بوشمال، والزعيم فرحات عباس، وقد أبّنه الإمام الإبراهيمي، فكان مما قال: "إن هذا التابوت الموضوع بين أيديكم لا يحمل جثمان شخص؛ وإنما قطعة من الوطن الجزائري فُصلت عنه ثم ردّت إليه قطعة من الوطن الجزائري فصلها عنه ظلم البشر ثم ردّها إليه عدل الله".[١٧] وفي السياق نفسه تحدث الأمين العام لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري فرحات عباس: "لننتزع حريتنا من الاستعمار البغيض أو نموت مثلك في ساحة النضال من أجلها".[١٨] وعلى قبره كتب أحمد سحنون "هنا زرعت حربة، هنا توقف قلب عن الخفقان، بعد أن أفناه حب الجزائر".[١٩] وقد كتب الشاعر أبو زيد قصيدة يرثي فيها الثلاثي المغاربي، نذكر بعض أبياتها:

أيها الراحلون كنتم مثالاً لاتحاد الأوطان في كل حال
ثم سالت تلك الدماء مزيجًا مغربيًا أعزز به من المنال[٢٠]

ثانيًا: رواية علي الحمامي "إدريس، رواية شمال إفريقيا": (لمحة تعريفية)

خلال فترة إقامة علي الحمامي ببغداد وفي الفترة الممتدة من ١٩١٤ إلى ١٩٤٢ ألف بالفرنسية[٢١] رواية "إدريس، رواية شمال إفريقيا" (قرابة ٤٠٠ صفحة) وهي رواية صاغها في قالب فلسفي تاريخي تحكي جذور وأصول الشعب المغاربي منذ أقدم العصور، وتجسد بروز الروح الوطنية المغاربية الحديثة، في خضم انهيار الخلافة الإسلامية وسط ظروف الاستعمار القاهرة. وقد صدر الرواية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي عندما طبعت في القاهرة سنة ١٩٤٨. ومما جاء في تصديره: "... كتاب الأخ المجاهد علي الحمامي المغربي (نسبة إلى بلاد المغرب) يكشف – ولو أنه محرر في شكل رواية – عن الكثير من أباطيل سياسة فرنسا الطائشة في المغرب. وعسى أن يترجم هذا الكتاب المحرر باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية حتى يدرك أبناء عمومتنا في الشرق العربي ما هو جار هناك. كما أن هذا الكتاب لا يخفي بعض الأخطاء التي كانت سائدة في المغرب قبل الاحتلال والتي كانت من البواعث الأكيدة على سقوطه في قبضة الاستعمار. فالبلاد المغربية التي لعبت دورها الكبير في تكوين الحضارة العربية والتي تفتخر دائما بأنها قدمت للمدنية الإنسانية رجالاً كابن خلدون، وابن بطوطة، وابن تومرت، وابن رشد، سوف لا تدخر وسعًا في إعادة مكانتها المفقودة بعد استرجاع حريتها واستقلالها المسلوبين كما هو شأن كافة الأمم قبلت فرنسا ذلك أم أبت والأمر مرفوع إلى الله جل شأنه فعسى أن يوقف العاملين لخلاص بلادهم ويسدد خطاهم آمين" القاهرة ٢٣ جمادي الأول ١٣٦٧ الموافق ٠٣ أبريل ١٩٤٨.[٢٢]

وفي السياق نفسه لاحظ محمود تيمور القيمة الفنية الأدبية والتاريخية العلمية لرواية إدريس فكتب عنها في مجلة الرسالة ما يلي:

نموذج جديد من قصص قومي: إدريس
(قصة مغربية بالفرنسية – الأستاذ علي الحمامي)
للأستاذ محمود تيمور

ثلاث عناصر، متى توافرت لعمل فني مكنت له وأبلغته ذروة الإجادة، فأسلست له أهواء النفوس. تلك العناصر التي أعنيها هي: قوة الإحساس، وصدق التعبير، وموهبة الأداء. وقد اتسقت ثلاثتها في هذه القصة التي ألفها الأستاذ "علي الحمامي" في اللغة الفرنسية وسماها "إدريس" وصور بها الحياة المغربية وما يضطرم فيها من آلام وآمال... في تلك القصة تنبسط صحف من التاريخ وتنصقل مرآة للحاضر وتتجلى أحوال سياسية واجتماعية قائمة وتترسل روح من الوطنية تثير الأفئدة وتهز المشاعر. فالكتاب –بفضل ما حواه من ذلك كله . يُعَدّ نموذجًا من القصص القومي، جديرًا بالتقدير والإعجاب.

ومما هو مسلم به عند البصراء من نقاد الأدب أن الفن لا يجود ولا يؤتي جناه إلا إن تركت له حرية التحليق والانطلاق، لا نزعة تملى عليه ولا مبدأ يتحكم فيه، ومن ثَمَّ كانت القصص التاريخية والسياسية والوطنية في المقام الثاني من القصص الفني لأن كتابها مقيدة أقلامهم بما حدد لهم من أغراض وما عين لهم من أهداف. ولكن الأديب " الحمامي " في قصته القومية ينجو من تبعة هذا النقد ويسمو على تلك الملاحظة، وذلك لأنه لم يخضع قلمه لمنحى مسوق إليه ولم يرد فنه على غرض دخيل عليه. وإنما أحس في قوة وعبر في صدق وأدى قادرًا على الأداء.

لقد عايش المؤلف أمته وشهد ما تعانيه من كوارث، وما يعوق خطاها من أغلال، وشعر بما يعتلج بين حناياها من منازع الحرية والعزة، وكان لذلك أثر في نفسه لم يلبث أن دفعه إلى التعبير فجرى قلمه يصور حياة قومه ويكشف عن آلامها وخوالج نفسها في إيحاء فني قويم. وأنت تساير "إدريس" بطل هذه القصة، وهو يروي لك أحداث حياته، وما تعاقب عليها من أحوال، فإذا بك . وأنت مسترسل معه . تطالع الحياة المغربية في عهدها العتيد، فترى كيف صنعت سياسة الاستعمار بذلك الوطن المغلوب على أمره، وتعلم كيف يسام الخسف والعسف في جحيم تلك السياسة الغشوم، وكيف تتوق نفسه إلى عيش الحرية والكرامة، فهو يكافح ويجاهد ما وسعه من الكفاح والجهاد.

فقارئ هذه القصة لا يملك سكينته إزاء ما يمر به من صور تفصح له عن نفسية شعب أبي يتنزى في الحديد والنار، وتشهد بما يكمن في سيرة ذلك الشعب من فتوة وحمية، وما يغلي في عروقه من دماء أسلافه الذين كانوا في طليعة بناة الحضارة وسادة الأمم. والقصة في جملتها مزاج طريف من التاريخ والسياسة والوطنية والاجتماع، أو طاقة مزهرة تجمع تلك الأفانين المختلفة. وبراعة الكاتب تتجلى في تأليف هذا المزاج، وتنسيق تلك الطاقة. فهيهات أن يلمح القارئ، في أطواء القصة، حديثًا لا يستدعيه الموقف، أو موقفًا ينبو عن السياق، أو إغراقًا في وصف وتصوير تتجافى به القصة عن سبيل التأثير والإقناع.

ما أكثر ما كَتبَ الغربيون عن الأمم الشرقية والإسلامية بلغات الغرب، ولكن ما كتبوه لا يصور نفسية هذه الأمم وعقليتها حق تصويرها، ولا يستوفي حقائقها كما هي عليه، وذلك لأن أولئك الكتاب إما أن تحدوهم نية سيئة ونزعة مغرضة، وإما أن يقعد بهم عجز عن التحقيق وصدق التصوير. وإذا فقد أحسن صاحب "إدريس" صنعًا، إذ كتب قصته بلغة غربية، سدا لذلك النقص، واطلاعًا لقراء الغرب على حقائق أمة إسلامية فتية تنشد سلامة وكرامة. وما أجمله توفيقًا أن تكون تلك اللغة الغربية التي كتبت بها القصة هي اللغة الفرنسية، فالقصة ليست إلا صفحة من اضطهاد المستعمر الفرنسي، فمن الخير أن يقرأها الفرنسيون بلغتهم، دانية المنال، حتى يتبين لهم كيف يؤدون في بلاد المغرب رسالة الحرية والسلام.[٢٣]

ثالثا: القومية المغاربية

عرفت منطقة شمال غرب إفريقيا عدة تسميات[٢٤] منها "بلاد المغرب" التي أطلقها العرب المسلمون على البلاد والتسمية في حد ذاتها فلكية وجغرافية وتعني جهة غروب الشمس، بالنسبة للحجاز أرض مبعث النبي محمد (ﷺ). ومن المؤرخين العرب الذين استعملوا كلمة المغرب،[٢٥] العلامة عبد الرحمان بن خلدون وخص بها المنطقة التي حددها بتضاريسها من المغرب الأقصى إلى مصر أي من البحر الظلمات (المحيط الأطلسي) إلى البحر الأحمر.[٢٦]

هناك عدة مقومات ومعطيات تؤسس للنزعة القومية المغاربية مثلها مثل القومية التركية والقومية الفارسية منها الطبيعة على النحو الذي ذكرناه سالفًا، والبشرية[٢٧] والتاريخية ودينية، وقد كان العنصر الأخير والذي نقصد به الدين الإسلامي قد تجذر في المنطقة منذ القرن الأول هجري والسابع ميلادي من أهم عناصر الوحدة والقومية المغاربية، ذلك أنه أضاف عدة عوامل حضارية ترسخ وتؤكد وحدته وهي العقيدة الموحدة، بحيث أن كل سكان المغرب، سنة على مذهب الإمام مالك بن أنس،[٢٨] واللغة،[٢٩] وثقافة وفكر،[٣٠] وعادات ونظام حكم وعمران وقيم أخلاقية.

لقد استمرت التباعية السياسية لبلاد المغرب بالخلافة المركزية في المشرق طيلة عهد الخلفاء الراشدين[٣١] والدولة الأمية ولكن خلال عهد الدولة العباسية بدأت تظهر حركات الانفصال، والتي اصطبغت بالنزعة المذهبية على مستوى العقيدة، وذلك منذ ظهور الفرق الإسلامية ولعل أهمها الشيعة والخوارج الذين كما أشرنا تمكنوا من تأسيس دول خاصة بهم على أرض المغرب ونقصد الرستمية الخارجية الاباضية في المغرب الأوسط و الادريسية العلوية في المغرب الأقصى. غير أن أهم الدول التي وحدت المغرب في دولة ذات وحدة سياسية هي دولة المرابطين (١٠٧١ – ١١٤٤م)،[٣٢] وبالخصوص دولة الموحدين (١١٣٠ – ١٢٧٠م) التي وحدت بلاد المغرب كليًا، ولأجل ذلك كان رواد الحركة الوطنية المغاربية،

يشيدون في الكثير من المرات في أدبياتهم بدولة الموحدين ومؤسسيها ويعتبرونها نموذجًا تاريخيًا للوحدة والقومية المغاربية ومنهم نذكر شخصية الدراسة "علي الحمامي".[٣٣]

ومن خلال ما سبق؛ يمكن أن نعرف القومية المغاربية بأنها مجموعة الخصائص والمميزات والصفات التي تجعل أفراد المغرب يشعرون بالانتماء إلى بعضهم البعض، من بيئة جغرافيا ودين ومذهب ولغة وأصول وتاريخ مشترك ومصالح المشتركة، هذه الصفات تجعل للمغاربة قومية خاصة بهم.

رابعًا: الجامعة الإسلامية

يجب أن نفرق بين المفهوم التاريخي العام للجامعة الإسلامية كمبدأ في حياة المسلمين تجسد في فترات التاريخ الإسلامي منذ عهد النبوة، ومفهومها كتيار فكري ظهر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

١/٤- المفهوم التاريخي العام للجامعة الإسلامية:

إن كلمة الجامعة في اللغة تحمل معاني (الوحدة والتضامن والتآزر) ومنها الجامع وهو المكان الذي يجتمع فيه الناس للصلاة، يعبدون إله واحدًا، يتوجهون إلى قبلة واحدة، وتزول الفوارق بينهم، وتتألف القلوب على الأخوة وعكسها الفرقة والتنافر والتشتت، وقد حث الإسلام على الوحدة وحذرهم من الفرقة، فقد ورد في الآية الكريمة: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}.[٣٤]

ومن ثمة؛ فإن معاني الجامعة الإسلامية هي الوحدة أو القومية الإسلامية أو الأخوة الإسلامية، وقد عرفها "لوثورب ستوارد" في كتابه حاضر العالم الإسلامي بقوله أنها "الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي"،[٣٥] قد جاء في تفسير الطبري لقوله تعالى {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} قوله: "فقد تمسك واعتصم بالإيمان، الذي هو أوثق ما تمسك به من طلب الخلاص لنفسه من العذاب الله وعقابه. "لا انفصام لها" لا انكسار لها ولا انقطاع،[٣٦] ويقول الدكتور محمد عمارة "إن دعوة الجامعة الإسلامية تعني أن للمسلم انتماءً إسلاميًا يحدد هويته وهوية الكيان السياسي والحضاري الذي يمنحه الولاء".[٣٧]

لقد أدرك النبي محمد (ﷺ)أهمية الجامعة وعلو منزلتها فغرس غريستها بيده في أنفس المؤمنين فنمت وتغلغلت،[٣٨] فقد عمد النبي (ﷺ)عندما حل بالمدينة المنورة بعد الهجرة النبوية إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد كانت السمة البارزة في التاريخ العرب قبل الإسلام هي انتشار العصبية القبلية المقيتة، ولكن حسب ابن خلدون فإن العصبية الدينية تكون أقوى على الدوام، لذلك زالت مع مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة التي تدعوا إلى الوحدة والألفة والتآخي. وقد قامت الجامعة الإسلامية بعد ذلك على ركيزتين هما الخلافة والحج،[٣٩] فالحج هو الركن الخامس في أركان الدين الإسلامي، وواجب على كل مسلم قادر أدائه، وهو مؤتمر سنوي يجتمع فيه المسلمون من مختلف أصقاع العالم على اختلاف أجناسهم وألسنتهم، يتبادلون معاني الأخوة. أما الخلافة فهي الركيزة الأساسية لتجسيد الجامعة الإسلامية، فقد قامت[٤٠] بعد التحاق النبي (ﷺ)بالرفيق الأعلى على أساس الشورى طيلة عهد الخلفاء الراشدين،[٤١] ثم تحولت إلى ملك متوارثا لآل أمية وحذا حذوهم العباسيين والعثمانيين.

٢/٤- المفهوم الحديث والمعاصر للجامعة الإسلامية:

نتيجة الأوضاع الخطيرة[٤٢] التي كان يعيشها العالم الإسلامي ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية، كحركة تهدف إلى إحياء الخلافة التي كانت تحتضر وتعيش أيامها الأخيرة. وقد عرفها الدكتور محمد عمارة بأنها "ذلك التيار الفكري والسياسي العريض الذي أبصر قادته[٤٣] أن هناك تحديات تواجه الفكر الإسلامي والشعوب الإسلامية، سواء تحديات من الداخل (كالتخلف الفكري والروحي، والانحطاط الحضاري والسياسي والصراعات الإقليمية والقبلية) أو من الخارج في شكل زحف استعماري وقد ضمت الجامعة الإسلامية مدارس وفصائل،[٤٤] رفعت نفس الشعار".[٤٥] أما الدكتور علي المحافظة فيقول أنها "تيار ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كرد فعل علي الغزو الغربي، وعجز الدول الإسلامية علي مواجهته، بعد تيقن المفكرين أن النضال المحلي لا يجدي".[٤٦]

وعليه يمكن القول؛ أن مفهوم الجامعة الإسلامية في التاريخ المعاصر يندرج تحت النزعة الإسلامية التي تهدف إلى إعادة لم شمل الأمة الإسلامية التي فرقتها ظروف وعوامل، قديمة قدم الجامعة نفسها وحديثة متعلقة أساسًا بالتخلف الفكري والحضاري والهيمنة الاستعمارية الغربية المسلطة عليها، ويمكن أن نعتبرها مشروع سياسي يهدف إلى تمديد عمر الخلافة العثمانية التركية، وتجديدها والدعوة للانضواء تحت لوائها.

خامسًا: نظرة علي الحمامي للقومية المغاربية والجامعة الإسلامية في مفهومها الحديث والمعاصر

ظهرت الجامعة الإسلامية كمشروع سياسي يهدف إلى إعادة لم شمل الأمة الإسلامية، التي كانت قد وقعت بين مخالب الاستعمار واقتطعت من الخلافة العثمانية، وُيَعّد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده المنظرين الحقيقيين للفكرة، ثم انتقلت إلى روادها من الجيل الثاني كرشيد رضا وشكيب أرسلان، أين كانت أقل نشاطًا وتأثير من الجيل الأول المؤسس لها، من خلال نظرة استقرائية تحليلية نرى أن علي الحمامي قد عاش خلال البيئة التي كان رواد الجامعة من الجيل الثاني ينادون بها ويتخذونها كوسيلة للوحدة وسبيل للتحرر من قيود الاستعمار الغاشم، في الوقت الذي كانت فيه الخلافة العثمانية تحتضر تحت ضربات القوى الأوربية، نلاحظ أن علي الحمامي قد تبنى فكرة النضال القومي المغاربي ودعا لذلك، وما الرواية التي ألفها بعنوان "إدريس" إلا دليل يؤكد على النهج القومي الذي تبناه الحمامي كخيار للنضال وللوحدة المغاربية وتخليص بقاعها من براثن الاستعمار الأوربي.

لقد مارس علي الحمامي نضاله الحثيث في إطار القومية المغاربية، فنجده قد عمل في الصحافة وكتب في جريدة "سبيلمان" وغيرها من الجرائد الفرنسية الأخرى وقام بدعاية واسعة لصالح بلاد المغرب جمعاء، وأكثر من ذلك نجده مجاهدًا في ساحة الوغى ضد الأوربيين الغزاة ولصالح البلاد المغاربية، فقد شارك في ثورة عبد المالك الجزائري في المغرب، وحارب مع الأمير عبد الكريم الخطابي في جهاد الريف لتحرير المغرب، كما نجده مناضلا مع الأمير خالد الجزائري في باريس وعمل مع جبهة الجزائريين في باريس اثر الحرب العالمية الأولى، ونراه قد عمل واجتمع مع أقطاب النضال المغاربي المشترك ذوي الوزن والثقل النضالي، فاجتمع بالمجاهد التونسي علي باش حامبة التونسي وجماعته في تركيا كما اجتمع بالأمير شكيب أرسلان ومحمد باش حمبة وصالح الشريف في سويسرا، وعاش زمنا مع الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي في الخليج الفارسي والعراق والحجاز، كما عاش مع المجاهد سليمان الباروني، ولما تم تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة برأسة محمد بن عبد الكريم الخطابي ولما كان هذا المكتب يجسد أفكار وطموح علي الحمامي من وحدة مغاربية ونضال قومي مشترك التحق به وأصبح ضمن أعضائه.[٤٧]

طاف علي الحمامي وتجول بين مختلف أنحاء العالم العربي في جزئه الغربي والشرقي والعالم الأوربي، ولكن كانت أفكاره وعقيدته تتمحور كلها حول وحدة المغرب والنضال المغاربي المشترك كسبيل للكفاح، ولاشك في ذلك فلا نكاد نراه على غير صلة مع ذوي الثقل و الوزن النضالي المغاربي عبر كامل أقطار المغرب العربي، يساندهم أهدافهم الكفاحية من أجل مغرب المتحرر وموحد. لقد ظهرت الدعوة الحمامية التي ترتكز على القومية المغاربية أو المغربة، من خلال روايته التي ضمنها أفكاره في الوقت الذي ألغية فيه الخلافة بعد الحرب العالمية الأولى، وأصبحت جهاز تقليدي لا يستطيع التحكم في مختلف الأقاليم والمجموعات الإسلامية،[٤٨] فظهرت القوميات التي كان يصهرها الإسلام في قالب واحد قوامه الإسلام، وأشهر القوميات المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية القومية العربية القومية التركية القومية الفارسية والقومية المغاربية، من هذا المنطلق ستشرع كل مجموعة في تجسيد قومية خاصة بها بناءً على مجموعة من المعطيات التي تجعل منها وحدة قومية متماسكة، فبرزت القومية العربية كتيار مستقل ينادي بالوحدة العربية ويحارب سياسة التتريك التي انتهجها حزب الإتحاد والترقي عن طريق إنشاء دولة عربية عاصمتها مصر، كما ظهرت القومية الإيرانية على يد رضا شاه الهلوي، وظهرت القومية التركية بشكل جلي على يد مصطفى أتاتورك الذي أسس الجمهورية التركية، وبموجب ذلك تم إلغاء الخلافة نهائيًا.

كل تلك المستجدات التي ظهرت على الساحة الإسلامية عقب الحرب العالمية والتي أنجر عنها إلغاء الخلافة دفعت بعلي الحمامي إلى الدعوة إلى القومية المغاربية مثلها مثل القوميات الإسلامية التي برزت بشكل واضح كخيار قومي وحدوي فرضته ظروف العصر، على غرار القومية العربية والتي بموجب أهدافها وطموحاتها السياسية تكون بلاد المغرب ضمن إطارها ومجالها السياسي بالاعتبار المغرب ضمن نطاق العروبة، ولكن علي الحمامي كانت له وجهة نظر مغايرة واعتبرها كمحاولة لإلحاق المغرب بالمشرق على الرغم من أن التاريخ يثبت أنه كيان مستقل له من الخصائص والصفات ما يجعله مغربًا قوميًا خالصًا، ويميزه عن غيره من القوميات. ويشير إلى ذلك على الحمامي في روايته قائلاً: "إن التاريخ لم يكن إلا مجموعة نوادر غثة مستخرجة من وريقات كتب تهتم بمجمل المجموعات الإسلامية أكثر مما تهتم بحياة شعب واحد من هذه الشعوب، ونحن اليوم لسنا نعيش زمن الخلافة، ومن ناحية أخرى فإن المغرب لم يبد البتة استعدادًا كبيرًا بالتخلي تخليًا صريحًا عن استقلاله لا بعد الإسلام ولا قبله".[٤٩]

كذلك قال: "عرف إدريس هذه المرة نهائيًا أمرًا هو أن روح الشرق قد تغيَّر وأنه من الآن فصاعدًا على كل بلدًا وهو يعود إلى القوانين الخالدة التي أملتها على الدوام الأرض والدم وإلى دروس تاريخه أن يحرص على خلاصه الخالص، فلقد كانت فكرة القومية تشق خطاها تحت الفكرة الدينية.[٥٠] لقد كان علي الحمامي مناضلاً مغاربيًا يؤمن بفكرة القومية ضمن إطارها المغاربي، يقول عنه صديقه محي الدين القليبي: "كان يؤمن بوحدة المغرب من حدود مصر الغربية إلى شاطئ المحيط، ويقول أن هذه القطعة قد اجتمع لسكانها من مقومات الوحدة ما لم يجتمع لغيرهم من الأقوام يؤمن بهذه الفكرة ويعمل لها عمل الجد لا عمل الهزل ويدافع عنها أمام معارضيها حتى يحتد".[٥١]

سادسًا: نظرة علي الحمامي للقومية المغاربية والجامعة الإسلامية في مفهومها التاريخي العام

تعتبر الجامعة الإسلامية في مفهومها التاريخي الحضاري العام تلك الرابطة الدينية التي جمعت العالم الإسلامي في وحدة سياسية قوامها نظام الخلافة، بغض النظر عن الجغرافيا والأصول واللسان، في محطات وحدوية تاريخية بارزة (الخلافة الراشدة، الخلافة الأموية، الخلافة العباسية، الخلافة العثمانية)، ومعلوم أن الخلافة عبر مراحلها قامت على أرض المشرق الإسلامي العربي- أو التركي فيما بعد- وبموجب ذلك فكل الأقوام التي وصلها الإسلام هي تابعة لتاج الخلافة، ولعل أهمهم العرب، الفرس، والأتراك والأمازيغ، ونحن نخص بالذكر هنا الأمازيغ لأن رابطة الدين الإسلامي أثرت عليم ما لم تأثر على غيرهم من الأقوام فأصبحوا مسلمين وأكثر من ذلك تبنوا لسان القرآن الكريم فتحولوا عربًا مسلمين وذابت قوميتهم في بوتقة الرابطة الإسلامية.

وعلي الحمامي من خلال رواية إدريس يعيد كتابة التاريخ المغاربي، منذ ما قبل الإسلام وما بعده وفق نظرة قومية مغربية، بعيدًا عن أي تأثير إلحاقي، وسط بيئة وطنية مغربية خالصة، من هذا المنطلق رد الحمامي كل الأقوال التي تضع الجنس المغاربي بين

أصول شرقية وأصول غربية،[٥٢] واعتبره جنس بربري خالص ضارب بجذوره في أعماق تاريخ شمال إفريقيا الغربية، خاصةً الذين يقطنون الجبال، لأنهم كانوا على الدوام في حالة الرفض الدائم للدخيل الأجنبي، وهذا ما عبر عنه في رواية إدريس "إن عائلة إدريس تنحدر منذ آلاف السنين من هذه الجماعات البربرية الأولى التي لا يعرف أحد الآن لا من أين أتت ولا كيف جاءت لتستقر في هذه الزاوية من المغرب فمنذ عصور سحيقة سابقة على الفتح الإسلامي ظل الجبل باستثناء بعض الأماكن الساحلية مغلقا إغلاقًا تامًا في وجه كل دخيل أجنبي".[٥٣]

لقد أكد على الحمامي على حقيقة تاريخية مفادها رفض البربري الجبلي لكل دخيل أجنبي غير قابل للذوبان في البيئة البربرية أو المغربية، فقد كانت أرض المغرب عبر التاريخ محل استقطاب مختلف القوى السياسية التي كانت لا تتردد في السيطرة على بلاد المغرب، فوجدت مقاومة شرسة من طرف البربر ويفسر ذلك الحمامي بتجذر سمة الحرية والوطنية في نفوسهم، فقاوموا الرومان والوندال والبيزنطيين لأنهم سلبوا حرية البربري واستبدوا بالبلاد والعباد ومارسوا سياسة الرومنة، حيث أورد الحمامي ما يؤكد على ذلك في روايته "حكمت روما وبيزنطة إفريقيا الشمالية بطريقة احتفالية: شيوخ يجلسون على كراسي من عاج وقياصرة يكلل الغار جباههم وأباطرة متدثرون بألبستهم القرمزية الإلهية يحملون بأيديهم صولجان العالم، لقد لمع سيبيون، وماريوس، وسيلا، وقيصر، وأوغسطس في ذلك لمعانًا ساطعًا سريعًا، ونالت روما في إفريقيا كل ما شاءت: المدن ومقار السلطة وأقواس النصر والمسارح وحلبات المصارعة والمعابد والحمامات المعدنية والقنوات المائية والثكنات والآثار التذكارية والتماثيل، أي نالت كل ما يمكن للحجر في نهاية الأمر أن يهب. ولكنها لم تنل شيء آخر. فسياستها لم تكن من هذه السياسات التي يمكنها أن تجلب إليها قلب البربري. لقد صيغت القوانين الرومانية صياغة تمكن المستوطنين من اقتطاع العزب بالاستحواذ على أراضي المواطن الأصيل بغية ما يحتاجه الشعب-الملك من خبز ومن ألعاب. سيترك حتى لا يبدي أنيابه لطبقة الأشراف على أنقاض وعلى شقاء الأجناس المستعبدة. إن هذا تقريبًا ما أمكن لأجداد إدريس أن يحصلوا عليه من سلم الرومانية".[٥٤]

ويصنف علي الحمامي رجال السياسة والدين الذين قالوا بالاندماج الحضاري بين بلاد المغرب القديم وروما على أن يتخلى البربر عن ميزاتهم ضمن خانة غير الوطنيين وذكر البعض منهم: "القديس أوغستين، ويوبا الثاني". وصنف الرافضين لسياسة الدمج في خانة الوطنيين مثل: "يوغرطة، ودونات".[٥٥] فكتب عن غير الوطنيين مالي: "يوجد صنف لا يتسع له صدر أجداد إدريس، بوجه خاص إنه صنف المرتدين، وأدوات التصفية القومية الذين تخلوا بعد أن تم إدماجهم وليتنتهم ثم تنصيرهم عن بلد أبائهم وقطعوا رابطة الدم والقديس أوغستين ويوبا هم نموذجا هذه الفصيلة"، وكتب عن الوطنيين القوميين: "لكن سقوط قرطاج لم يفت في عضد البربر فقد تسلم البطل القومي العلم الذي انفلت من أيدي القرطاجيين وبرز يوغرطة في الميدان مستعملا وسائل نضال جديدة... إنه ما من شك في أن أجداد إدريس الذين تملكتهم الدهشة والمفاجأة في آن واحد قد سمعوا كلمات الاحتقار التي وجهها القائد النوميدي الكبير صوب روما من أعلى ربوة الجانيكول بعد أن جلب إلى صفه مجلس الشيوخ بالثمن المتفق عليه وبعد أن فضح مكائد مبعوث الوالي "أيتها المدينة القذرة كل شيء فيك يباع".[٥٦] وكتب عن رجل الدين دونات ما يلي: "ينتمي دونا أسقف قرطاج على الرغم من انشقاقه إلى كنيسة إفريقيا، كان مثل القديس أوغستين بربريا لكنه على عكس أب الكنيسة الشهير لم يرتد عن أصوله ولم تمنعه صفة كهنوتيه من تميز الفروق التي تفصل بين الدين والسياسة. كان يعيش بين المؤمنين التابعين له يقاسمهم الآلام والآمال لأنه كان أقرب إلى الإنجيل من مواطنه الشهير، وعندما اقتنع دونات بتقصير الكنيسة المتعمد وبأن المظالم الاجتماعية تلقى تسامحًا من البابوية ومن الأسقفيات رفض الخضوع لتوجيهات البابوية".[٥٧]

غير أن البربر لم يقاوموا الفينيقيين، ويبرر الحمامي ذلك على أن الوافدين الفينيقيين من مملكة صور اللبنانية بقيادة الملكة عليسة استقروا في أرض المغرب على أنهم تجار، ولم يحاولوا فرض نمطهم الحضاري على أصحاب الأرض بل اندمجوا مع السكان الأصليين وتخلوا عن بعض ميزاتهم وتبربروا وشكلوا جنس مزيجًا بين البربر والفينيقيين عرف بـ "الجنس البونيقي".

إذا انطلقنا من فكرة الوطنية والقومية البربرية الرافض لكل دخيل أجنبي وفكرة القدرة الإدماجية للبيئة البربرية فنجد الحمامي يبرر قبول البربر للفاتحين المسلمين العرب، وجعل بلادهم ضمن إطار الجامعة الإسلامية (الخلافة) مثلما برر للفينيقيين، على أن الفاتحين العرب اندمجوا في البيئة البربرية وامتزجوا مع السكان الأصليين وتخلوا عن جزء من خصوصياتهم، مثلما تخلى أصحاب الأرض عن جزء من خصوصياتهم،[٥٨] ومن هذا المنطلق ستظهر التسمية الإسلامية لبلاد البربر وهي بلاد المغرب الإسلامي. جاء في رواية إدريس "سلكت السلالات والقادة العرب المسلك نفسه فهم تأفرقوا تمامًا مثل الفينيقيين، ومن دون أن يفقدوا المزايا الأصلية لجنسهم أصبحوا مغاربة راسخين خالصين".[٥٩] وفي السياق نفسه يؤكد الحمامي القدرة الإدماجية للبربر في مرحلة ما بعد الإسلام، وما انجر بعد ذلك من تطورات "لقد اندمج أمراء قرطبة والأغالبة والأدارسة والرستميون والسعديون في تاريخ المغرب اندماج المرابطين والموحدين.... وحتى الفاطميون لم يجرؤوا البتة رغم أصول مذهبهم الشيعي المشرقية على الوقوف ضد هذا التيار الامتصاصي الذي هو الدليل الجلي على قدرة البلد الإدماجية".[٦٠]

استمر المغرب الإسلامي ضمن المجال السياسي للجامعة الإسلامية (الخلافة)، ولكن رابطة الجامعة بدأت تهن وتضعف أمام

وطنية وقومية المغاربة، خاصةً عندما أحسوا بتعسف ولاة بني أمية في أواخر عهد الدولة الجامعة فظهرت المعرضة التي ترجمت إلى ثورة عارمة،[٦١] أراد قوادها الخروج عن لواء الجامعة الإسلامية (الخلافة الأموية) وعن ذلك كتب الحمامي "فثورة الخوارج الكبيرة كانت موجهة ضد بعض مظاهر تعسف خلافة دمشق وانتهت إلى الانتصار".[٦٢] ورغبة المغاربة في الانفصال عن الخلافة الإسلامية ستثمر خلال عهد الجامعة الإسلامية التي جسدتها الخلافة العباسية، عندما انفصل الأدارسة في إطار البيئة المغربية في المغرب الأقصى وأسسوا دولة الأدارسة سنة ١٧٢هـ وانفصل الرستميون بالمغرب الأوسط وأسسوا الدولة الرستمية سنة ١٦٠هـ، كما انفصل آل الأغلب في المغرب الأدنى حتى وإن أبقوا على التبعية الاسمية للخلافة في بغداد،[٦٣] وأسسوا الدولة الأغلبية سنة ١٨٤هـ، وبذلك انفصل المغرب من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي، ويشير إلى ذلك الحمامي على أن المغربي متعلق بالحرية -حتى على حساب الجامعة الإسلامية- والتي أحس أنها سلبت منه خاصةً منذ أواخر عهد بني أمية إذ كتب في روايته "...ومن ناحية أخرى فإن المغرب لم يبد البتة استعدادًا كبيرًا بالتخلي تخليًا صريحًا عن استقلاله لا بعد الإسلام ولا قبله".[٦٤]

ومن منطلق القومية والخصوصية الدينية المذهبية لبلاد المغرب، رفض الحمامي المحاولات الالحاقية المشرقية، في الميدان العقدي ولا في الميدان السياسي، خاصةً بعد ولادة الشعب المغربي الجديد، منذ انفصاله عن الجامعة الإسلامية، فلم يصبح شعبًا بربريًا ولا عربي بل مغربي له كل الحرية في خلق الروابط التي تجعله مغربًا قوميًا، ففي الميدان السياسي حارب الحمامي المذهب الحنبلي الداعي إلى حصر الخلافة في قريش.[٦٥] ففي الميدان العقدي اعتبر الحمامي المدرسة التمورتية[٦٦] مرجعًا أساسيًا للعقيدة المغربية الإسلامية، وأنه ليس من حق العرب أو الفرس أو الترك أن يجعلوا من أنفسهم قوامين على الإسلام المغربي، الذي يمكن للمغاربة أن يصوغوه وفق البيئة المغربية التي تختلف تمامًا عن البيئة المشرقية. إذ كتب في إدريس: "كان الخوارج سلفيي الإسلام الأول، أما الحنبلية وروافدها فهي سلفيات أخرى. وهناك مدرسة ثالثة خاصة بإفريقيا الشمالية ولدت تحت رعاية الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية، إنها مدرسة ابن تمورت وهي متشبعة بذهنية مغربية خاصة تحدد ملامحها".[٦٧] وفي المجال الفقهي الذي يستمد منه المغاربة الأحكام الشرعية لأمور دينهم ودنياهم، فقد اعتمدوا على مدونة سحنون القيرواني توفي ٨٥٤هـ (عاصر أحمد بن حنبل توفي٨٥٥هـ) الذي يعتمد أساسًا على المذهب المالكي، وقد عمل بعدة أسد بن الفرات على نشر المذهب زمن الدولة الأغلبية.

لقد دعا علي الحمامي - بنزعة قومية تقف في وجه النزعة الالحاقية المشرقية- المغاربة أن يربوا وينشئوا أبنائهم تنشئة قومية بالرجوع إلى أعلام المغرب الذين أثروا بفكرهم على الحضارة الإسلامية والحضارة الإنسانية قاطبة إنه الثالوث الممثل في: ابن خلدون، وابن تمورت، وابن رشد. إذ كتب في روايته: "هكذا تمكنت أفكار ابن تمورت التوحيدية من المغرب. لقد أكمل ابن تمورت، مع ابن رشد وابن خلدون، الثالوث الأروع الذي سيرى فيه إدريس مركز تاريخ وحضارة بلده ورمزها. فقد اعتمد إدريس هذا الثالوث مثالاً يحتذى... كان إدريس يأسف أن يكون أمثال هؤلاء الصقور قد حلقوا فوق الأطلس من دون أن يسقطوا أية بذرة أما في عبد المؤمن،[٦٨] والخلافة الموحدية فسيتبين إدريس المستوى الباهر لخصال جنسه الخلاقة. إن عصر المغرب الذهبي عندما كانت قرطبة في بالغ ألقها سيكون له الأثر الأكثر نفعًا في إدريس. ولسوف يقارن عندما يحين الوقت بين هذا القرن المبارك وقرون بيريكليس والمأمون ولويس الرابع عشر... إن إدريس سيتبين في الإمبراطورية الموحدية التي تشير إلى أوج المغرب حصيلة القوى الحرية بأن تكون قاعدة ومثالاً للقومية المغربية: الوحدة العقدية والوحدة القومية، وعلى هامش هذا التأثير المتبادل، الازدهار الفكري الذي يرسخ بناء الأمة ويمكنه من أسس صلبة".[٦٩]

ومن خلال ما سبق؛ يتبين لنا نظرة الحمامي القومية للمغرب، فنجه أعاد صياغة التاريخ المغاربي منذ عصور سحيقة، وحتى بعد الإسلام، صياغة قومية، وأكثر من ذلك فقد دعا المغرب إلى قومية خاصة به لتجذر عناصرها في سكانه، خارج أي نزعة إلحاقية مشرقية، خاصةً منذ انفصال المغرب عن الجامعة الإسلامية زمن العباسيين ودعا إلى الاقتداء بالمصمودي ابن تمورت مؤسس الدولة الموحدية الزاهرة، وكذا العلامة بن خلدون وابن رشد.

خاتمة

يعتبر علي الحمامي من الشتات الجزائري الذي عاش في المهجر، يناضل ويرافع من أجل قضية شعب مغربي مضطهد متنقلاً بين مختلف البلدان العربية والأوربية، وقد تميز بنزعته القومية المغربية، فأين تجد النضال المغاربي المشترك، تجد الحمامي، ينشط نشاطًا حثيثًا في سبيل عقيدته القائمة على وحدة المغرب العربي والعمل على تحريره انطلاقًا من جهود أبنائه القادرين على تطهير أرضهم من براثن الاستعمار الأوربي، وكان أخرها في مكتب تحرير المغرب العربي في القاهرة. وخلال فترة إقامته في بغداد ألف رواية إدريس التي ضمنها أفكاره القومية، ومنها أعاد صياغة التاريخ المغاربي، صياغة قومية منذ فترة ما قبل الإسلام وحتى بعده، خاصةً منذ نجاح الحركات الانفصالية عن تاج الجامعة الإسلامية (الخلافة العباسية)، أين ولد الشعب المغربي والذي شكل وحدة قومية متناهية التماسك، خاصةً زمن الموحدين، وانطلاقًا من ذلك دعى الحمامي إلى قومية مغاربية مقوماتها متجذرة في سكان المغرب من وحدة العقيدة والمذهب والأصول والتاريخ والعادات والتقاليد، وفي مقابل ذلك حارب كل الإرادات الالحاقية المشرقية المذهبية والعقدية ضمن الرابطة السياسية الإسلامية. لأنه في اعتباره أن للمغرب كلمته في صياغة مذهبه بذهنية مغاربية، وكذا في إقامة وحدته السياسية.

الهَوامِشُ:

(١) لقد تعاقب على حكم أرض المغرب القديم العديد من القوى السياسية والعسكرية الأجنبية بداية بالفينيقيين والرومان والو ندال ونهاية بالبيزنطيين، بحيث شكل الفتح الإسلامي العربي للمنطقة المغرب نقطة تحول حاسمة، ذلك أن سكان المغرب اقتنعوا بتعاليم الدين الإسلامي وشريعته السمحة، فأصبح المغرب القديم مغربًا إسلاميًا عربيًا، وأضيف إلى مجاله السياسي أجزاء واسعة من أوروبا (شبه الجزيرة الأيبيرية). عاش خلال هذه المرحلة نوعًا من الاستقرار السياسي والرقي الحضاري واستمر الحال كذلك إلى غاية هزيمة الموحدين على يد قوى النصارى في معركة حصن العقاب سنة ١٢١٢ فانقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاث وحدات سياسية (الحفصية في المغرب الأدنى، والزيانية في الأوسط، والمرينية في الأقصى)، أكثر ما ميزها الضعف ووالتشتت والحروب المستمرة، وفي هذا الوقت بدأت أوربا تستعيد عافيتها بقيادة اسبانيا والبرتغال فشرعت في شن حروب ضد المسلمين في الأندلس عرفت في التاريخ بحروب الاسترداد، من هذا المنطلق أصبحت الدول المغاربية الثلاث في حالة شبه فراغ سياسي وسط ضعف وانهيار السلطة المركزية للممالك الثلاث، فتم احتلال جل سواحلها، ووسط هذه الأوضاع برز رواد الجهاد في حوض البحر الأبيض المتوسط بقيادة الإخوة بربروس والذين استطاعوا من خلال جهود مضنية أن يجعلوا البحر الأبيض المتوسط بحيرة مغاربية عثمانية بقيادة الجزائر، وانطلاقًا من ثقلها العسكري من خلال أسطولها ووزنها السياسي في المنطقة سارعت الدول الأوربية لإقامة علاقات سياسية وتجارية مع الجزائر، وأهم الدول فرنسا التي عقدت معها حوالي (٥٧) معاهدة ابتداءً من القرن السادس عشر إلى نهاية القرن نفسه، بالإضافة إلى باقي الدول الأوربية التي عقدت عشرات المعاهدات من أجل تأمين سفنها التجارية العابرة للبحر المتوسط مثل البرتغال وهولندا والسويد الدانمرك والولايات المتحدة الأمريكية. لمزيد من التفاصيل حول مكانة الجزائر العثمانية في حوض البحر المتوسط، يُنظر: مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية**، ج١، دار الأمة، الجزائر، ص ٥٠ وما بعدها.

(٢) لقد أورد الشيخ أبو عمران في تصديره لمُؤلف علي الحمامي رواية إدريس أنه من عين الحمام من مدينة تيارت التي تقع في الغرب الجزائري وقد وقع خلط بينها وبين عين الحمام التي تقع في تيزيوزو. غير أنه يوجد إجماع حول نسب الحمامي إلى الجزائر- ولعل السبب في ذلك هو هجرته مع عائلته إلى المشرق في سن مبكرة وسط الظروف الاستعمارية قاصية وعدم عودته إلى الجزائر، ونشير إلى أن البلدان العربية والإسلامية كانت وجهة المهاجرين الجزائريين، الذين لعبوا أدوار هامة لصالح البلدان المستقبلة لهم خاصة دعم حركات التحرر. ينظر:

Ali.Hammami: **idris roman nord africain, Alger, avec un introduction de cheikh Bouamrane**, entreprise nationale du livre 2eme ed, 1988 , P.8.

وحول موضوع هجرة المغاربة ومساهماتهم في بلاد المشرق، يُنظر:

Pierre Bardin: **Algériens et tunisiens dons l ,empir ottoman de 1848 a 1919**, Ed du CNRS, Aix-en-Provence , Paris , 1979.

(٣) جريدة العلم، بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٤٩.

(٤) الحمامي لم يغادر الجزائر إلا وهو ابن العشرين السنة، وهذا يعني أنه عاش وتربى في أحضانها، في ظروف القهر المسلطة عليه وعلى أبناء جلدته من طرف الاستعمار الفرنسي، لذلك فإن علي الحمامي قد تشبع من حب وطنه الجزائر المقهور، مثله مثل باقي الشباب الجزائري المثقف، وعليه فإن إقامته في الخارج وتنقله بين مختلف البلدان العربية والأوربية، لم تحل بينه وبين الدفاع عن شعبه المضطهد، في الجزائر وسائر المغرب العربي.

(٥) عبد القادر جغلول: **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، ترجمة: سليم قسطون، ط١، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ١٩٨٤، ص ٢٢٦-٢٢٧.

ولكن صديقه المناضل التونسي محي الدين القليبي (مدير اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري الحر التونسي) يشير في مقال له في جريدة البصائر أن الحمامي مكث في الإسكندرية ردحًا من الزمن ثم عاد إلى الجزائر أين واصل دراسته في كل صنوف المعرفة. يُنظر: محي الدين القليبي: "**الأستاذ علي الحمامي**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (١٠٠)، ٠٢ ربيع الأول ١٣٦٩/ ٢٦ ديسمبر ١٩٤٩، ص١ - ٢. وأبو عمران الشيخ وآخرون: **معجم مشاهير المغاربية**، منشورات دحلب، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ١٦٧.

(٦) وجدنا لمحة تعريفية مختصرة لعلي الحمامي أوردها النفزاوي في غلاف كتاب رواية إدريس الذي ترجمه للعربية، يُنظر: علي الحمامي: **إدريس، رواية شمال إفريقيا**، تعريب: محمد ناصر النفزاوي، معهد الهوقار، (د.م)، ٢٠١١.

(٧) يُنظر: بنونة الطيب: **نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان وعبد السلام بنونة**، دار الأمل، طنجة، ١٩٨٠، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٨) أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج٤، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص ١٢٤.

(٩) من المجاهدين المصلحين الذين أثروا في نهضة الجزائر ودفعوها خطوات إلى الأمام الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري، ولد في دمشق بالشام، ثم انتقل به والده إلى الجزائر وهو صغير فنشأ فيها وقد رباه والده تربية دينية ثم دخل المدرسة العسكرية في "سان سير" وتخرج منها برتبة ضابط، وشارك في الحرب العالمية الأولى لصالح الجيش الفرنسي وبعد انتهائها عاد إلى الجزائر وفي سنة ١٩١٩ بدأ جهاده السياسي، فالتف حوله المثقفون المخلصون لدينهم وأمتهم ونجح في الانتخابات البلدية في الجزائر العاصمة، وفي سنة ١٩٢٠ أسس جريدة الإقدام هو وصحبه العلماء المخلصون فاتسع بها نطاق دعوتهم، وكان رحمه الله عسكريًا صارمًا، ونتجه للخطورة التي كان يمثلها بالنسبة للاحتلال الفرنسي قامت بنفيه إلى فرنسا سنة ١٩٢٣ وهناك التقى مع المجاهد علي الحمامي. يُنظر: محمد على دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج٢، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ٢٠٠٧، ص ٢٤-٢٥.

(١٠) لقد استطاع منضروا الشيوعية والاشتراكية من أمثال كارل ماركس ولنين تجسيد أفكارهم خاصةً منذ نجاح الثورة البلشفية سنة ١٩١٧، وظهور الاتحاد السوفيتي صاحب التوجه الاشتراكي الشيوعي والذي استغلت حركات التحرر في العالم وجعلت منه منبرًا للمطالبة بحقوق الشعوب المضطهدة، ويكفي أن نشير أن حزب نجم شمال أفريقيا الذي كان عبارة عن لجنة الدفاع عن عمال شمال إفريقيا استغل الحزب الشيوعي الفرنسي وهامش الحرية الذي منح له للقيام بنشاطه السياسي. يُنظر: عمار بوحوش: **تاريخ الجزائر السياسي من البداية ولغاية ١٩٦٢**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧، ص ٢٨٨. وأبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (١٩٠٠-١٩٣٠)**، ط٤ ، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص ٣٧٧.

(١١) عبد القادر جغلول: مرجع سابق، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(١٢) يُنظر: **اللمحة التعريفية للنفزاوي**، علي الحمامي: مصدر سابق.

(١٣) يشير عضو مكتب تحرير المغرب العربي في القاهرة عبد المجيد بن جلول إلى بعض حيثيات سقوط الطائرة: على الساعة الثامنة إلا ربع من يوم ١٢ ديسمبر ١٩٤٩ حاول الطيار أن يشق طريقه بين جبلين فشاء الله أن يخطئ التوازن ويصطدم بإحداهما فانفصل جناح الطائرة ومعه جزء من جسمها ليحترق في الفضاء، ويصل إلى الأرض تذروه الرياح، ويشاء القدر أيضًا أن يكون في الجزء ستة عشر من المسلمين ومن بينهم الحبيب ثامر الذي لم يعثر على جثته، والجزء الثاني والذي به عشرة من المسلمين، عُثر على بقايا جثثهم ومن بينها جثة علي الحمامي ومحمد بن عبود.

يُنظر: عبد المجيد بن جلول: "**الثلاثة الذين استشهدوا**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (١٠٦)، ١٩ربيع الأول ١٣٦٩/ ٩. جانفي ١٩٥٠، ص ١-٢ .

(١٤) لقد مَثّل كل من: علي الحمامي الجزائري، والحبيب ثامر، ومحمد بن عبود المراكشي قطر المغرب العربي بأقسامه الثلاثة في مؤتمر كراتشي الاقتصادي بباكستان، وقد احتجت حكومتا فرنسا وإسبانيا لدى الدولة الباكستانية على قبولهم بين أعضاء هيئة المؤتمر. يُنظر: أبو محمد: "**الفاجعة**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (٩٩)، ٢٩صفر ١٣٦٩/ ١٩ ديسمبر ١٩٤٩، ص ٣.

(١٥) عبد القادر جغلول: مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(١٦) بناءً على البرقية التي تلقاها مركز حزب البيان الجزائري برقية من مكتب تحرير المغرب العربي في القاهرة والتي تشير إلى إرسال جثمان علي الحمامي إلى الجزائر، كان أعضاء الحزب يترقبون وصوله وفي يوم السبت وصلت الطائرة التي تقل الحمامي رفقة جثمان المغربي محمد بن عبود، فاستأنفت الطائرة سيرها إلى المغرب، ودفن الحمامي يوم السبت الفاتح جانفي. يُنظر: باعزيز بن عمر: "**تشييع جثمان الفقيد الكبير علي الحمامي إلى مقره الأخير في العاصمة**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (١٠٢)، ١٩ ربيع الأول ١٣٦٩/ ٩. جانفي ١٩٥٠، ص ١.

(١٧) باعزيز بن عمر: المقال نفسه، ص ٢.

(١٨) المرجع نفسه.

(١٩) عبد القادر جغلول: مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(٢٠) أبو زيد: "**ضحايا المغرب العربي**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (١٠٩)، ١٠ جمادي الأولى ١٣٦٩/ ٢٧ فيفري ١٩٥٠، ص٧.

(٢١) يذهب محي الدين إلى أن الحمامي إلى جانب نبوغه للغة العربية والفرنسية يجيد الإيطالية والأسبانية والألمانية والتركية. كما إلى أن لعلي الحمامي مؤلفات أخرى عجز عن طبعها بسبب الفقر والفاقة، وأنه اقتصد (٤٠) جنيه طبع بها كتاب رواية إدريس. يُنظر: محي الدين القليبي، مقال سابق، ص٢.

(٢٢) علي الحمامي: مصدر سابق، ص ٨٠.

(٢٣) محمود تيمور: "**نموذج جديد من قصص قومي**": إدريس (قصة مغربية بالفرنسية-الأستاذ علي الحمامي)، مجلة الرسالة، القاهرة، ٢٩ جويلية ١٩٤٨.

(٢٤) منها التسميات التاريخية القديمة: نوميديا وموريطانيا أو تسميات حديثة ومعاصرة كالتسمية الجغرافية شمال إفريقيا، وهي تسمية أكثر من استعمالها المستعمرون الفرنسيون والغرب الأوربي عمومًا، فصلا للمنطقة عن تبعيتها الحضارية. كما استعمل الأوربيون تسمية الدولة البربروسية (Etats Barbaresques) في العصور الحديثة نسبة إلى الأخوين وخير الدين، ومن الكلمات التي استعملتها فرنسا الاستعمارية كذلك بلاد البربر (Berberie) خدمة لأغراض التفرقة والتوسع والسيطرة على المنطقة، كما استعمل بعض الكتاب تسمية "بلاد المغرب الإسلامي"، وأخيرًا هناك التسمية المعاصرة الحضارية والتي واكبت تنامي الحركات الوطنية في المنطقة وهي: "المغرب العربي" إلى جانب تسميات سياسية أخرى، ظهرت فيما بعد استقلال المنطقة كالمغرب الموحد أو المغرب الكبير أو مغرب الشعوب.

(٢٥) حاول عبد الله العروي فلسفة المصطلح من الناحية التاريخية، وقال أن معناه واسع بدون تحديد من الناحية اللغوية أو الجغرافية، وأن كلمة المغرب عبارة عن وهم له معنى حيوي وموضوع تاريخ، يُنظر:

Abdallah Laroui: **L, histoire du Maghreb un essai synthese**, F.Maspero, Paris, 1971, P.13-15.

(٢٦) عبد الرحمان بن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...**، المجلد (٦)، القسم الأول، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٥٨، ص ١٩٣-٢٠٣. للمزيد من التفاصيل حول تسمية المغرب يُنظر:

Al-Maghrib, In Encyclobedie de L,islam, Nouvelle Edition , Paris , P.1173 - 1200.

(٢٧) لقد شكل أهالي المغرب وحدة شعبية متجانسة بعد الفتح الإسلامي للمنطقة، فقد قبل الشعب المغاربي الاستلام واعتنقوا عقيدته وعملوا بشريعته السمحة، وبعد ذلك شهدت المنطقة عدة هجرات عربية إسلامية أدت إلى اختلاط بأهالي المغرب (البربر أو الأمازيغ) منها هجرة الهلاليين وبني سليم والأندلسيون وشكلوا في النهاية وحدة متجانسة. وهناك مَنْ أشار إلى المد المشرقي الفينيقي قبل الإسلام. وعلى العكس من ذلك ظهرت عدة دراسات اثنية خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية في المغرب، وتندرج عمومًا ضمن "سياسة فرق تسد" وإحكام السيطرة على المنطقة فحواها إن سكان المغرب لا يرتكزون على وحدة بشرية. يُنظر: محمد المكي الناصري "**وحدة المغرب العربي في ظل الإسلام**"، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد (١٥)، جمادي الأولى ١٣٩٣/ جوان ١٩٧٣، ص ٧- ٢٤.

(٢٨) لقد انتشر المذهب المالكي في المغرب منذ عهد الدولة الأغلبية على يد أسد بن الفرات. يُنظر: محمد أبو الأجفان: **بناء المغرب العربي**، سلسلة الدراسات الاجتماعية، تونس، ١٩٨٣، ص١١٥-١٤٨.

(٢٩) لقد تحول لسان سكان المغرب تحولاً تامًا، فأصبح عربيًا خالصًا، ذلك أن الأمازيغ كما أشرنا اعتنقوا الدين الإسلامي وتأصل فيهم وبطبيعة الحال سيرحبون بلغة القرآن الكريم. يُنظر: محمد حسن: **تطور الوعي القومي في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص ١١٥- ١٣٦.

(٣٠) لقد ارتبط المغرب بالمشرق منذ بداية الفتح وتحول المغرب القديم إلى مغرب إسلامي، فكان الأرض الخصبة لمختلف الأفكار المتسربة من المشرق، وفي كثير من الأحيان لجأ الدعاة المشارق إلى المغرب وملكوا قلوب البربر الذين يقدسون العلماء والدعاة الذين حولوا ذلك الولاء إلى ملك سياسي متمثل في قيام الدول بالمغرب مثل الادريسية والرستمية والفاطمية العبيدية...الخ. يُنظر: عمار طالبي: **ابن باديس حياته وآثاره**، ج١ ، ط٢ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص ١٥.

(٣١) لقد بدأت حركة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبقيادة عمر بن العاص الذي بلغ برقة في ليبيا، غير أنه توقف بأمر من الخليفة واستمر خلال بداية عهد عثمان رضي الله عنه، غير أنه توقف خلال عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسبب اندلاع الفتنة الكبرى أواخر عهد عثمان والتي استمرت تباعياتها طيلة عهد علي، وتم فتح المغرب من أقصاه إلى أقصاه وأكثر من ذلك تم العبور إلى شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس) زمن الدولة الأموية.

(٣٢) دولة المرابطين وحدة المغرب جزئيًا بحيث امتد نفوذها السياسي على المغرب الأقصى والأوسط. يُنظر: سعد عباس نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ص ١٥ وما بعدها. وحسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، (د.ب)، ١٩٩٢، ص ٤٣٠ – ٤٣٧.

(٣٣) يُنظر: أبو بكر على الصنهاجي: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية**، دار المنصورة، الرباط، المغرب الأقصى، ١٩٨١، ص ١١ وما بعدها. محمد منوني: **حضارة الموحدين**، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ١٩٨٩، ص ١٠ وما بعدها.

(٣٤) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(٣٥) لوثورب ستيواد: **حاضر العالم الإسلامي**، تعليق: شكيب أرسلان، ج١، ط٣، ترجمة: عجاج نويهض، دار الفكر، ١٩٧١، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٣٦) محمد بن جرير الطبري: **مختصر تفسير الطبري**، ط٢، مكتبة الرحاب، الجزائر، ١٩٨٧، ص٨٢.

(٣٧) محمد عمارة: **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه**، ط١، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٦١.

(٣٨) لوثورب ستيواد: مصدر سابق، ص ٢٨٨.

(٣٩) لوثورب ستيوارد: المصدر نفسه.

(٤٠) بعد وفاة النبي (ﷺ) في ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، عقد الأنصار "الأوس والخزرج" اجتماعًا لهم في سقيفة بني ساعدة وكانوا يهدفون لتعيين خليفة رسول الله (ﷺ)لقيادة الدولة الإسلامية الفتية التي أصبحت في حالة فراغ قيادي، وبين هم كذلك التحق بهم كل من أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة الجراح، وبعد مشاورات التف المؤمنون حول أبو بكر كخليفة لرسول الله (ﷺ)، وحجتهم في ذلك أن الرسول قد استخلفه في الصلاة وقت مرضه، فقالوا قد رضيه لدينا فكيف لا نرضاه لدنيانا. وهكذا تمخض عن هذا الاجتماع ميلاد الخلافة في التاريخ الإسلامي. للمزيد حول الخلافة، ينظر: محمد رشيد رضا: **الخلافة**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٤. وأبو الأعلى المودودي: **الخلافة والملك**، ترجمة: أحمد عزت، شركة الشهاب، الجزائر، ١٩٨٨. مصطفى حلمي: **نظام الخلافة في الفكر الإسلامي**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.

(٤١) تعاقب على حكم الدولة الإسلامية الراشدة كل من الصحابة رضوان الله عليهم: أبو بكر الصديق (١١- ١٣ هـ)، عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ)، عثمان بن عفان (٢٣ – ٣٥ هـ)، علي بن أبي طالب (٣٥ – ٤٠هـ).

(٤٢) لقد كان العالم الإسلامي يعيش أوضاعًا خطيرة في جميع المجالات، نتيجة عدة عوامل ولعل أهمها المد الاستعماري الأوربي. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: رأفت الشيخ: **تاريخ العرب الحديث**، عين للدراسات والبحوث العلمية، مصر، ١٩٩٤، ص ٢٦٦ - ٢٧٤.

(٤٣) لقد تزعم حركة الجامعة الإسلامية كوكبة من رجال الإصلاح وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وشكيب أرسلان، للمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصيات، يُنظر: محمد رشيد رضا: **تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده**، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦. محمد عبده: **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده**، ط١، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٩٩٣. أحمد الشرباطي: **شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، (د.ت). مصطفى فوزي عبد الطيف غزال: **دعوة جمال الدين الأفغاني في الميزان**، ط١، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣. يمكن الإشارة إلى بعض المراجع باللغة الفرنسية عن الأفغاني:

Pakdaman (H): **Djamel Eddine Afghani**, édition Maisonneuve et La rose, Paris, 1969 (Thèse).
Pakdaman (H): **Notes sur le sejour de Djamal Eddine "Afghani"** Ed en France, 1965.

(٤٤) لقد عرفت الجامعة الإسلامية عدة تيارات عبر مختلف العالم الإسلامي كالمهدية والسنوسية والوهابية. يُنظر: علي البشير الطاهر محمد: **الوحدة الإسلامية والحركات الدينية في القرن التاسع عشر: الحركة الوهابية وحركة جمال الدين الأفغاني والحركة السنوسية**، مطابع الصحافة للتجارة، ١٩٧٥. محمد عمارة: **الجامعة الإسلامية وفكرة القومية عند مصطفى كامل**، ط١ ، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ١٩٩٤، ص٥١-٥٩.

(٤٥) محمد عمارة: **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه**، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٤٦) علي محافظة: **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩١٤)**، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٨٧، ص ١٠٩.

(٤٧) كل هذه الإشارات التي تخص سيرة علي الحمامي النضالية المغاربية اقتبسناها من حديث محي الدين القليبي حول صديقه الحمامي. يُنظر: محي الدين القليبي: المقال السابق، ص ١.

(٤٨) يتكون العالم الإسلامي من عدة مجموعات عرقية نذكر أشهرها: ١- مجموعة الدول العربية المشرقية. ٢- مجموعة الدول العربية المغاربية (شمال إفريقيا). ٣- الكتلة الإيرانية الأفغانية الباكيستانية الكشميرية البنغالية. ٤- الكتلة الاندونيسية الماليزية. ٥- الكتلة الإفريقية وتشتمل دول النطاق الصحراوي ودول شرق إفريقيا. ٦- الكتلة التركية القوقازية وتشمل تركيا وجمهوريات وولايات في مرتفعات القوقاز، وهي: أذربيجان، داغستان، شاشان، أنجوشيا، أوستينا، الأوديجا. ٦- الكتلة التركستانية، وتسكنها العناصر المغولية التركية.٧- الجمهوريات الإسلامية في الإتحاد السوفيتي (سابقًا) وهي: أوزبكيستان، طاجكستان، تركمانيا، قزقستان، قرغيزيا، نتاريا، الجوفاش. ينظر: تاج السر أحمد: **حاضر العالم الإسلامي**، ط١ ، إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١، ص ١٥،١٦.

(49) Ali. Hammami: **Op.cit,** P. 137 – 138.

(50) Ibid, P. 147.

(٥١) محي الدين القليبي: المقال السابق، ص ١.

(٥٢) لقد ظهرت عده آراء حول أصل سكان المغرب منهم مَنْ يرى أن أصولهم شرقية باعتبار شبه جزيرة العرب كانت خزان بشري ومنطلق مختلف الهجرات البشرية، وفي مقابل ذلك حاولت المدرسة الكولونيالية أن ترجع أصولهم إلى الغرب بالنظر إلى التشابه في اللون والقرب الجغرافي من أوربا، هذا لتبرير تواجدها في أرض المغرب، وكذا لتشجيع سياسية التفرقة.

(53) Ibid, P.22.

(54) Ibid, P.27.

(٥٥) للمزيد من التفاصيل حول تاريخ المغرب القديم وأهم الشخصيات الفاعلة. يُنظر: شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٩. مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٦.

(56) Ibid, P.27 - 29.

(57) Ibid, P.31.

(٥٨) لقد قاوم البربر الفاتحين العرب الأوائل من منطلق التعلق بالحرية والوطنية، ولكن عندكما فقهوا مقاصدهم، رحبوا بهم وأسلموا وحسن إسلامهم وأحبوا لسان الإسلام والقرآن فصاروا عربًا مسلمين، وأكثر من ذلك أصبحت أرض المغرب منطلق الفتوح الإسلامية.

(59) Ibid, P.31.

(60) Ibid.

(٦١) لقد انتقل الفكر الخارجي إلى المغرب الإسلامي، بحيث كان البربر، يتضجرون من الظلم الذي كان يعاملهم به عمال بني أمية وعدم مساواتهم مع بقية المسلمين. وقد استغل هذا الوضع رجل يدعى "مسيرة المدغري" وأعلن الثورة على الأمويين، فتم قتل والهم في طنجة "عمر المرادي"، وتم تولية أحد الخوارج يدعى: عبد الأعلى بن جريح، وبعد احتلال طنجة توجه نحو السوس فاحتلها، وتقدم باتجاه القيروان. للمزيد حول انتشار الفكر الخارجي في المغرب. يُنظر: محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب**، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥.

(62) Ibid, P. 137, 138.

(٦٣) في سنة ١٨٤هـ خاف هارون الرشيد أن تفلت تونس (المغرب الأدنى) من سلطة بني العباس، فقبل العرض الذي تقدم به إليه إبراهيم بن أغلب التميمي، وأسند إليه ولايتها وجعلها وراثية في آل الأغلب، على أن يدفع لخزينة الخلافة أربعين ألف دينار.

(64) Ibid, P.137,138.

(٦٥) شكل موضوع أحقية العرب القرشيين بالخلافة من عدمه جدلاً واسعًا، خاصةً مع نمو الوعي القومي لدى القوميات المنضوية تحت لواء الخلافة المشرقية العربية، فمنهم مَنْ يرى بأحقية العرب القرشيين بالخلافة ودليلهم في ذلك حديث النبي (ﷺ)"إنما الخلافة في قريش"، وعلى النقيض من ذلك ذهب فريق أخر يرى خلاف ذلك ودليلهم في ذلك قوله صلى (ﷺ)"مَنْ ولى من

أمر المسلمين شيئًا، فولى رجلاً وهو يجد مَنْ هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين" – رواه الحاكم في صحيحه-.

(٦٦) نسبة إلى امحمد بن تومورت الذي ولد سنة ٤٨٥هـ لأسرة متدينة من قبيلة "هرتغة" إحدى بطون "مصمودة" الأمازيغية، حفظ القرآن وأخذ مبادئ العلوم في موطنه ثم خرج لطلب العلم فقصد الأندلس ثم المهدية فمصر واستقر بالعراق فأخذ عن أئمته ولازم حجة الإسلام الغزالي. عاد إلى مسقط رأسه سنة ٥١٣هـ وقد حز في نفسه ما آلت إليه الخلافتين العباسية والفاطمية من ضعف وتفكك فأخذ يدعوا في المساجد والمدن الاسلامية التي طاف بها آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، وبعدما التفت حوله قبيلته مبايعة له بالنصرة والدفاع أعلن أنه المهدي المنتظر، وقد اعتبرت هذه البيعة سنة ٥١٥هـ بمثابة بداية العهد الموحدي لأن المهدي أطلق على أتباعه اسم الموحدين. كما أن له مدونات في العلوم الشرعية مثل كتاب التوحيد، والمرشد. يُنظر: أبي بكر علي الصنهاجي: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية**، دار المنصورة، الرباط، المغرب، ١٨٧١.

(67) Ibid, P.93, 94.

(٦٨) هو عبد المؤمن بن علي الكومي، تولى قيادة الدولة الموحدية بعد وفاة بن تومرت، ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي للدولة.

(69) Ibid, P.38, 39.